العمارة السكنية في إقليم أعالي الفرات بين الأصالة والتأصيل

د. خالص حسني الاشعب
جامعة صنعاء / كلية التربية عمران

د. عبد الناصر صبري شاهر الراوي
جامعة الانبار /كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم الجغرافية

المقدمة

يتوجه هذا البحث لدراسة الوحدات السكنية باعتبار المسكن مظهر من مظاهر التفاعل بين البيئة والإنسان في إقليم أعالي الفرات .حيث أن مورفولوجية وحدة السكن تعبر عن تفاعل الإنسان مع ظروف البيئة المحلية بتغيراتها الطبيعية والبشرية بما فيها التقنية [١].

وفي هذا السياق تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على المكونات المعمارية والتخطيط للبيت العربي في هذه المنطقة حيث إن التاريخ الحضاري الطويل الذي مرت به يفسر التحويرات التي حصلت في هذا القرن . إن ذلك يعكس صيغ ونتائج التفاعل مع الحضارات الأخرى الأمر الذي يفسر ظهور نماذج للمساكن المختلفة بما فيها ما حصل في نموذج البيت العربي الذي يغطي نسبة صغيرة من بيوت منطقة الدراسة. كما يحاول البحث إظهار قدرة وبراعة المعمار العربي في ابتداع نماذج من البيوت التي حققت درجات عالية من الموائمة بين القيم الحضارية بأبعادها الدينية والاجتماعية من جهة والظروف البيئية وخاصة المناخية مما يخدم عملية التأصيل المعماري في نماذج السكن التي ستعتمد في المدينتين والتي يدعو إليها هذا البحث .وفي مسيرة التطور الحضاري للمنطقة ضمن إطارها العربي العام تعددت نماذج البيوت العربية وتميزت بخصائص تخطيطية ومعمارية فريدة تعكس مدى استيعاب المعمار لخصوصية مواضع المدن واستغلال المساحات الصغيرة التي شيدت عليها البيوت في مراحل التطور المختلفة متمثلة حسب القدم بنموذج البيت الصومعي (البرجي) والذي أسبغ على المنطقة كثافة معمارية عالية ثم نموذج البيت ذو الفناء ليليه نموذج البيت ذو الإيوان ، ثم البيت العربي المحور فنموذج البيت شبه الغربي استند البحث في متابعة لاكتشاف نماذج البيوت المعبرة عن مراحل تطور المدن على المسح الميداني فيها إلى جانب البحوث والدراسات ذات العلاقة فضلا عن تقارير دائرة الآثار والتراث .

وبذلك تبين أن النسيج المعماري لمنطقة الدراسة قد تكامل بنماذج البيوت المتتابعة التي تنظم أنظمة الأزقة والطرق التي هي الأخرى جاءت بنماذج تحاكي المراحل الحضارية للبلدتين مما لا يدخل البحث في دراسته .

مشكلة البحث

تتلخص مشكلة البحث في السؤال الأتي ما هي ابرز المعالجات المعمارية والتخطيطية التي تمثل عناصر الأصالة في النماذج الأولى للبيوت في منطقة الدراسة سواء على مستوى مواد البناء أم التصميم أم النسج الحضري ككل

فرضية البحث

انطلق الباحثان في البحث عن عناصر الأصالة في العمارة السكنية في منطقة الدراسة منى خلال الإجابة الآتية : إن تعدد نماذج البيوت وتميزها بخصائص تخطيطية ومعمارية فريدة تعكس إمكانية المعمار

العربـــي وقدرتـــه علـى تحقيـق الموائمـة بـين القيم الحضاريـــة بأبعـادها الدينيـــة والاجتماعيـــة مـن جهـة والظروف البيئية مما يخدم عملية التأصيل المعماري في نماذج السكن

عوامل نشأة وتطور البيت العربي

تقع منطقة الدراسة في إقليم ذو تاريخ حضاري موغل في القدم يعود إلى أكثر من ٢٠٠٠ سنة ق.م [٢]

ولابد من الإشارة إلى أن هذا الإقليم قد ضم العديد من المستقرات البشرية التي جاء ذكرها في المصادر البابلية والأشورية كمدينة عنه القديمة التي أقيمت أصلا على جزيرة لباد وهي إحدى جزر المنطقة . وهيت وحديثة والوس وخربة الدنية وخرادم المجاورة وغيرها من المدن التي ورثت مواضعها مدن محافظة الانبار المعاصرة .مما يدفع إلى اعتبارها من المدن التاريخية الحية التي استمر السكن فيها [٣] والتي تظهر أثارها في مورفولوجية الوحدات المعمارية التي تحمل صفة تعدد النماذج حيث احتوت هذه المدن نماذج مختلفة من البيوت يعود منها إلى الأصل العربي وعدد أخر يخرج من ذلك .وتجدر الإشارة إلى إن كل من هذه النماذج يمثل مرحلة مورفولوجية معينة في مسار التطور الحضاري لمنطقة الدراسة . وكلما كان العمق التاريخي للمدينة ابعد كلما تعدد نماذج الوحدات المعمارية بما فيها السكنية كما هو الحال في منطقة الدراسة .

يقع الإقليم ضمن النطاق الصحراوي لذلك تركزت المستقرات البشرية على امتداد الشريط الزراعي الضيق مع امتداد نهر الفرات الذي ينحصر بين النهر وحافة الهضبة التي ترتفع في بعض الأحيان إلى أكثر من ٣٠ م ولصعوبة السكن خارج هذا الشريط اختلط الاستعمال السكني للأرض مع الاستعمال الزراعي لها في المنطقة ، ولأجل المحافظة على الأرض الزراعية باعتبارها مجالا اقتصاديا مهما حاول المعمار أن يحقق امثل استغلال للمساحات المشيدة وان لا يتجاوز في إقامته الساكن على الأراضي الزراعية .. لذلك تميز البيت العربي في هذه المنطقة بنماذجه المختلفة بصغر مساحته.

ومن المعلوم أن الأبنية في منطقة الدراسة تميزت بمتانتها إذ أسهمت العوامل الجيولوجية فضلا عن توفر مواد البناء على بناء بيوت ذات طابقين أو أكثر . وبسبب ضيق المساحة حاول الإنسان في المنطقة أن يعتمد على المناطق الهضبية غير الصالحة للزراعة وان يتوسع أيضا فوق الطرق والأزقة وظهرت الشوارع المسقفة (العكد) حيث تم استغلال مساحات واسعة من الأزقة من قبل أصحاب البيوت المشرفة عليها وتم سقفها ليبنى عليها غرف تضاف إلى الطابق الثاني في بيوتهم وغالبا ما تسقف ببناء مقوس (عكادة) (شكل١) [٤].

لقد أدت ظروف المناخ الصحراوي إلى ابتكارات معمارية و تخطيطية تعكس حصيلة الخبرات والتجارب التي مارسها الإنسان العربي خلال مراحل تطوره الحضارية وجاء تصميم البيت العربي بنماذجه المختلفة لأجل التغلب على قساوة المناخ .حيث أن ارتفاع الكثافة الإنشائية

شكل رقم (١) زقاق مسقف

للمساحات المشيدة وقلة الفتحات الخارجية وصغرها واستخدام المواد العازلة في البناء والتسقيف وهي من البيئة ذاتها وتراص البيوت فضلا عن الاهتمام بالمساحات الخضراء كل ذلك حقق كفاءة مناخية جيدة وساعد على تلطيف المناخ المحلي للمدن في منطقة الدراسة.(٥).

وجدير بالذكر أن انتشار القبائل البدوية في المنطقة ساعد على الاحتكاك المستمر مع مدن أهالي الفرات وقراه بنوعيه السلمي وغير السلمي المتمثل بالغزوات البدوية في السابق بكل ما يترتب على ذلك ، لذلك فان تصميم البيوت المغلفة تجاه الخارج قد زاد من الحماية الذاتية للبيت والمدينة ككل حيث النسج الكثيف لمحلاتها ضد الغزوات البدوية .

ويعزز ذلك نظام الشوارع العضوية الذي تتوزع عليه هذه البيوت فضلا عن العوامل الاجتماعية والاقتصادية حيث تراوحت مساحات قطع الأراضي بين (٢٠-١٥٠)م ٢ وفي الغالب لا تزيد عن (١٠٠) م ٢

لاشك أن صغر مساحة البيوت وتلاصقها بدون خطة محددة في شوارع ملتوية يعود إلى عوامل اجتماعية واقتصادية ودفاعية حيث يحتشد السكان في مساحات صغيرة من الأرض مما يزيد من القدرة على حمايتها خاصة وكثيرا ما تحاط بأسوار أو باختيار المواضع المنيعة مما يوفر الحماية ضد الغزاة.

وقد ساعدت بنية الموضع على تعزيز الدفاع حيث تتوفر مواد أولية تستخدم في البناء متمثلة بالحجر والجص والكلس (النورة) مما جعل البيوت أكثر قدرة على المقاومة وأطول عمرا . خاصة وان جدران البيوت ذات سمك كبير تتراوح بين ٦٠-٨٠ سم . وتم تغليفها الجدران بطبقة جصية من الداخل والخارج .

وقد ساعد ذلك على إدخال العناصر الجمالية في الجدران الداخلية للبيت من خلال النقوش والزخارف الجصية .

يمكن تمييز خمسة نماذج من البيوت العربية ثلاث منها تعود إلى مراحل حضارية قديمة وهي النموذج الصومعي (البرجي) الذي انعدمت فيه المساحة المكشوفة فكانت فكرة الفناء المكشوف تتمثل في الغرفة الرئيسة التي احتوت على المدخل الرئيس للبيت والسلم والمرافق الخدمية الأخرى .

والنموذج الذي تميز بوجود المساحة المكشوفة التي احتلت احد جوانب البيت العربي والنموذج الذي احتوت على الإيوان . إضافة إلى النماذج الخمسة يوجد البيت الغربي (وهو بحاجة إلى دراسة خاصة) الذي أصبح يغطي أعلى نسبة بين بيوت المنطقة مما أسهم في إعطاء هذه المدن طابعها الحالي .

نماذج البيوت

١. البيت الصومعي (البرجي) (شكل ٢)

يمثل هذا النموذج من البيوت أقدم النماذج حيث دلت التحريات الأثرية إلى أنها تعود إلى العصر البابلي القديم [٦]. ومن أهم خصائصها أنها محدودة المساحة حيث تراوحت مساحتها بين (٢٠-٨٠)م٢

شكل رقم (٢)

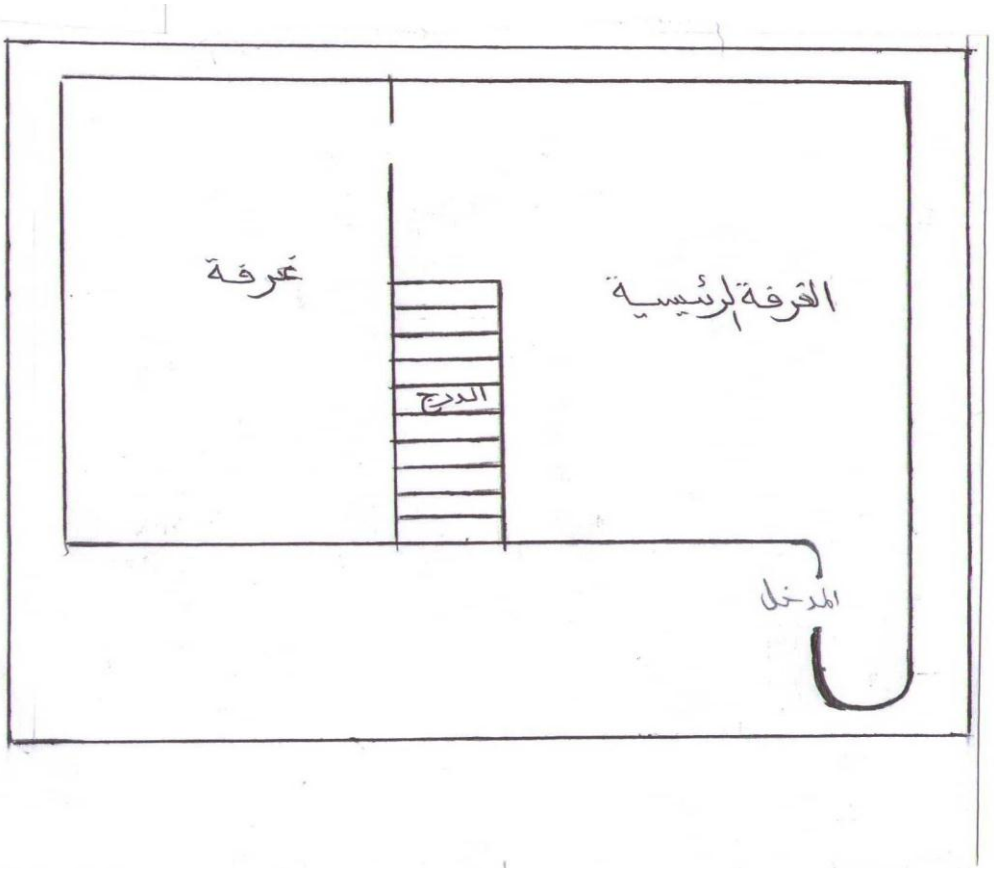

وإنها بسيطة التخطيط حيث يتكون البيت من غرفة واحدة ، أو غرفتان الواحدة خلف الأخرى أو الواحدة جنب الأخرى .

وطابق علوي فوقهما غالبا ما يكون متصلا على شكل غرفة واحدة أو يكون مماثلا للطابق الأرضي وفي حالات أخرى يتكون البيت ثلاث طوابق .

يحتل مدخل البيت احد الزوايا التي يطل بها على الزقاق أو على ساحة تشترك بها مجموعة من البيوت وتظهر هذه الحالة عندما تكون العائلة ممتدة أو مركبة .

أو في حالة ارتباط العوائل الساكنة بقرابة . حيث سمح أصحاب الطابق الأرضي الآخرين من أقربائهم ببناء مسكن أو غرفة فوق جزء من مسكنهم في الطابق الثاني [٧].

يتميز هذا النموذج بانغلاقه نحو الداخل حيث تمثل الغرفة الأولى الساحة المكشوفة التي تحتوي على الباب الرئيسي والدرج وتمارس فيها العائلة أعمالها المنزلية اليومية . كما يتميز بانغلاقه على الخارج لعدم وجود الشبابيك والفتحات الخارجية . واقتصرت على فتحات طولية صغيرة تدعى (طاقة) تحتل الجزء العلوي من الطابق الأرضي وتكون قريبة من السقف لتكون بعيدة عن عيون المارة وفي وقد وجدت للتهوية ولدخول ضياء الشمس[٨] .

ويتم الصعود إلى الطابق الثاني من خلال سلم غالبا ما ستند على الجدار الذي يفصل بين الغرفتين

٢. البيت ذو الفناء (شكل ٣)

يتميز هذا النموذج بوجود الساحة المكشوفة التي تمثل الصفة الأساسية لبيوت المرحلة الثانية وبالرغم من أن فكرة الفناء قد تعود إلى عصر فجر السلالات [٩] حيث مثلت فضاء مهما للبيت تمارس فيه العائلة العربية مختلف النشاطات المنزلية . كما أنها تمثل مصدر الضوء والهواء لبقية مرافق البيت التي تطل بعضها بمداخل مباشرة عليها [١٠] . فضلا عن بعد روحي لفكرة الساحة المكشوفة داخل البيت حيث يتمكن الإنسان من خلالها تحقيق نوع من الاتصال بالسماء حيث السكينة وكل ما يرمز إلى الخالق سبحانه وتعالي .

ومن المعلوم ان موقع الساحة ليس داخليا كما في غالبية المدن العربية بل يكون موقعها جانبيا حيث احتلت احد جوانب البيت في غالبية بيوت منطقة الدراسة ، مما يعكس خصوصية التجربة السكنية التي تحكمها الظروف السائدة .

وتباينت أشكالها (الساحة) بين مستطيلة ومربعة . وقد احتوت على الدرج الذي يؤدي إلى الطابق الثاني فضلا عن التنور والمرافق الخدمية الأخرى .

يحتل مدخل البيت إحدى الزوايا التي تقع فيها الساحة المكشوفة . ويتم الدخول إلى الساحة المكشوفة بممر منكسرا أو مزور لتحقيق استقلالية العائلة داخل الساحة .

ومن الساحة المكشوفة يتم الدخول إلى مرافق البيت التي تطل عليها . أما مساحات البيوت فقد تراوحت (٥٠-١٥٠) م ٢ وفي الأغلب لا تتجاوز (١٠٠)م٢ وتتكون عموما من طابقين .

تتميز هذه البيوت بأنها منفتحة على الداخل مغلقة إلى الخارج أيضا حيث تميزت ببساطة واجهاتها الأمامية وخلوها من الشبابيك واقتصرت على فتحات صغيرة كما في النموذج السابق ولذلك لعدم حدوث تغير اجتماعي - اقتصادي جذري في تطور المنطقة

(شكل ٣) البيت ذو الفناء

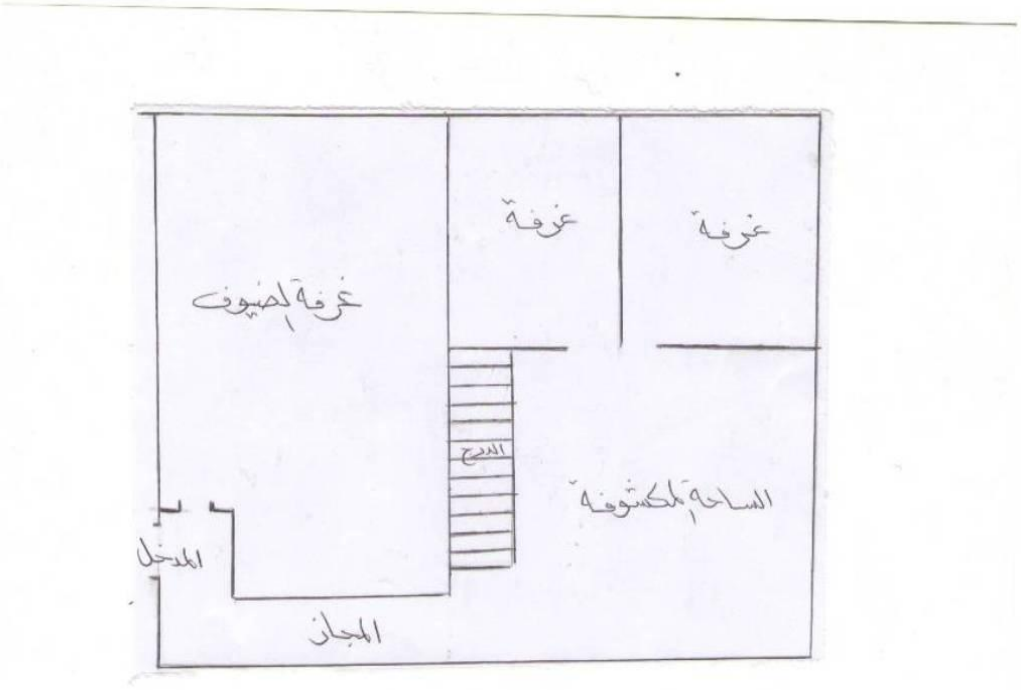

البيت ذو الإيوان

يكاد هذا النموذج أن يشبه نموذج البيت ذو الفناء من حيث توزيع الوحدات البنائية ووجود الساحة المكشوفة التي تحتل احد جوانب البيت . والمساحة التي يستغلها إلا أن هذا النموذج تميز بوجود الإيوان الذي احتل احد جوانب الساحة المكشوفة ليطل عليها ومن خلال الإيوان يتم الدخول على بعض غرف البيت . وقد ظهرت براعة المعمار من خلال واجهات الاواوين وسقوفها التي اتخذت أشكالا معمارية مختلفة وخاصة الكبيرة منها التي تزين واجهاتها أكثر من قوس واحد تأخذ شكل رواق، يتكون هذا النموذج من طابقين أو أكثر في بعض الحالات . ويتم الصعود إلى الطابق الثاني بواسطة درج يستند على احد جوانب الإيوان .

يتميز هذا النموذج بانفتاحه نحو الداخل وانغلاقه نحو الخارج لعدم وجود الشبابيك والفتحات الخارجية باستثناء الفتحات الصغيرة المماثلة للفتحات الموجودة في النماذج السابقة انسجاما مع البعد الاجتماعي الذي لم يصيبه التغيير بعد ..

٤.البيت العربي المحور

يعد هذا النموذج استمرار لنموذج البيت ذو الفناء ، رغم تطور بعض الخصائص المعمارية إلا أن هذه الخصائص لا تمثل انقطاعا عن البيت العربي وإنما امتدادا له بكل ما فيه من خصائص ومميزات حيث حافظت على العناصر الأساسية للبيت العربي مثل وجود الساحات المكشوفة (الحوش) واشتراكها مع البيوت المجاورة بجدار مشترك . كما أنها تفتقر إلى الحدائق الأمامية . أما أهم التحويرات التي أصابت البيت العربي فتتمثل في انفتاح البيت إلى الخارج من خلال شبابيك الواجهة الأمامية للبيت . كما أن مدخل البيت اخذ يتوسط الواجهة الأمامية للبيت مما أدى إلى ظهور المدخل غير المنكسر . ومن بين العوامل التي ساعدت على ظهور هذا النموذج هو نظام الشوارع الذي تميز بكونه أكثر استقامة وتوزيع قطع الأراضي المنتظمة التي تميز باتساعها نسبيا مقارنة مع البيوت السابقة . يضاف إلى ذلك دخول مواد بناء جديدة وخاصة الحديد

والاسمنت والتي رافقت التطورات الحضارية نتيجة للاحتكاك مع الحضارة الغربية عبر تركيا والبحر المتوسط.

٥.البيت العربي المسقف (شبه غربي)

أدخلت بعض الخصائص المعمارية للبيت العربي المحور مما جعله مشابها للبيت الغربي الذي اخذ ينتشر في معظم المدن العربية خلال الستينات من القرن الماضي . ومن أهم التغيرات اختفاء ظاهرات الفناء المكشوف وظهور الحوش المسقف الذي استمر يلعب الدور السابق نفسه باعتباره مركز البيت المعماري والوظيفي .

أما المدخل الرئيسي فقد احتل منتصف الواجهة الأمامية وقد احتلت غرفة الضيوف احد جانبي المدخل بحيث ترتبط بالمدخل وبالحوش المسقف وتتوزع الغرف حول الحوش المسقف كذلك يحتل الدرج إحدى جوانبه.

أما الاضائة في هذا النموذج فتتحقق من خلال الشبابيك المطلة على الشارع . أما بالنسبة للحوش المسقف فتتم اضائته من خلال شباك الغرفة التي تنتهي عندها الدرج (البيتونة) وظهر في بعض البيوت التي تتكون من طابق واحد أو طابق ونص وجود فتحة في سقف الحوش تسمى (سماوه) تحقيقا لمزيد من الضياء.

عناصر الأصالة الوظيفية والمعمارية للبيت العربي

١- البعد الاجتماعي :-

لاشك أن الظروف الاجتماعية وتقاليد العائلة العربية وتعاليم الدين الإسلامي جعلت للمسكن حرمة وقدسية . لذلك فان انغلاق البيت نحو الخارج حق استقلالية العائلة وحافظ على خصوصيتها داخل المسكن .. ومما زاد من استقلالية العائلة جعل المدخل الرئيسي (المجاز) الذي يربط باب الدار بالساحة المكشوفة منكسرا أو مائلا أو انه يؤدي إلى باب أخر لا يقابل الباب الخارجي بل يتجه نحو اليمين أو اليسار مما لا يمكن المارة من رؤية من في الداخل إذا فتح الباب الخارجي .كما افتقرت إلى الشبابيك أو الفتحات الكبيرة في الطابق الأرضي لكي لا تسمح لعيون المارة في الطريق من التطفل على داخل البيت . وكان لفلسفة الإنسان العربي الاجتماعية التي لا تحب التغطرس وحب الظهور تأثيرها الكبير على تصميم واجهات البيت العربي التي اتصفت بالبساطة مقارنة مع داخل البيت حيث حاول الإنسان العربي أن يدخل عناصر معمارية رئيسية تزيد من مظاهر الجمال والبهجة لساكنيه . كما أن اختلاط المساكن داخل المحلة جاء بسبب غياب التمايز الطبقي في ظل نظام التكافل الاجتماعي لأبناء المحلة الواحدة الذي يقلل من الفوارق الطبقية والاقتصادية فيسكن الغني قرب الفقير وصاحب الجاه قرب الضعيفة مما يخلق نسيجا اجتماعيا وحضريا متناسقا رغم إمكانية تميز البيوت من حيث الحجم والمساحة وطراز العمارة .

كما أن استغلال السطح كمكان لنوم أفراد العائلة هروبا من ارتفاع درجات الحرارة أثناء فصل الصيف حتم إحاطتها باسيجة عالية لمنع الإشراف المتبادل بين العوائل المجاورة

٢- الانسجام البيئي :-

تظهر المعالجات المعمارية والتخطيط لظروف المناخ الصحراوي في كافة عناصر البيت العربي بنماذجه المختلفة في المنطقة إذ اخذ المعمار بالحسبان استخدام المواد التي تحقق عزلا حراريا في بناء جدران البيوت وسقوفها بالرغم من تباين هذه المواد في ذلك . وحيطة من المعمار فقد زاد من سمك الجدران والتي حققت متانة في البناء مما مكن من جعله البيوت متعددة الطوابق وأدى إلى زيادة المساحة المظللة [١١].

كان لوجود الفتحات الصغيرة (الطاقة) التي وجدت أعلى الجدران الخارجية أثرها في تحريك الهواء الداخلي للغرف . وخاصة في البيوت المغلقة حيث تساعد على التخلص من الهواء الداخلي الساخن . وحاول المعمار توجيهها باتجاه الرياح السائدة (الشمالية الغربية) كما عملت هذه الفتحات على إدخال الضوء بالكمية المناسبة ..

إن إدخال الفناء المكتوب مكن من تحقيق عدة مزايا مناخية ففي فصل الصيف يساعد على تخفيف شدة الحرارة من خلال تيارات الهواء الأفقية التي تدخل من خلال الفتحات الخارجية الصغيرة والتيارات الرئيسة من خلال الفناء المكشوف . كما تساعد الأشجار المزروعة داخل الساحة على التخفيف من شدة الحرارة . أما في فصل الشتاء فانه يساعد على رفع درجة الحرارة أثناء النهار حيث يلاحظ توجيه الفضاءات على الفناء مع حركة الشمس الظاهرية . كما أن الساحة المكشوفة تعمل بمثابة مرشح للهواء المحمل بالأتربة [١٢].

أما السرداب الذي يوجد في بعض بيوت منطقة الدراسة فأنه يعد احد الفضاءات المهمة في البيت العربي كونه غرفة تنخفض عن أرضية البيت لعدة أمتار كما أن جدرانها سميكة . وقد ساعد ذلك على حمايته من الحرارة لذلك تستغله العائلة لقضاء ساعات القيلولة أيام الصيف الحارة .

كما احتوت بعض السراديب على الزنبور الذي يستخدم لتبريد الفاكهة وحفظ الأطعمة وتبريد مياه الشرب يضاف إلى ذلك أن المعمار والمخطط العربي في المنطقة خلق نسيجا يوفر الظل على مدى النهار كما يحول دون سكون الهواء على مدى اليوم مما يزيد من الكفاءة المعمارية –التخطيطية لتحقيق الانسجام البيئي .

٣-الكفاءة المعمارية :-

تظهر فنون الريازة العربية الإسلامية والمعالجات المعمارية في أجزاء مختلفة داخل البيت العربي بنماذجه المختلفة في منطقة الدراسة . أما واجهات البيوت فقد امتازت ببساطتها .

إن سمك جدران البيت ساعد على إيجاد التجاويف ذات الأقواس والزخارف التي زينت جدران البعض منها . تتبين هذه الفنون في مدخل البيت من خلال تقوس السقف(شكل٧) فضلا عن النقوش والزخارف التي تزين الجدران كما تظهر في تصميم الإيوان الذي يتكون من بناء له ثلاث جدران ، أي غرفة مفتوحة باتجاه الساحة المكشوفة وغالبا ما تكون واجهاتها على شكل أقواس مدببة أو نصف دائرية مستديرة على دعامة أو دعامتين في الوسط (شكل ٨)

أما سقوفها البعض منها فكانت مقببة . [١٣] كما تظهر المعالجات المعمارية في بناء السرداب من خلال الجدران السميكة والسقوف المقوسة أو المقببة حاول المعمار بان يزيد من ارتفاع البناء ولوحظ أن الطابق الثاني يكون أكثر ارتفاعا من الطابق الأول لكي يساعد على تقليل درجات الحرارة.

أن استعمال مواد البناء المحلية ساعد على زيادة الانسجام بين الأشكال البنائية والبيئية الطبيعية كما حقق بالوقت نفسه مبدءا معماريا عربيا هو صراحة التعبير حيث لم يستخدم الألوان لإخفاء ما تحتها .

٤-البعد الاقتصادي :-

تعد العوامل الاقتصادية من بين ابرز العوامل التي أدت إلى صغر مساحة البيت العربي بنماذجه المختلفة في المنطقة . حيث أن وقوعها في ارض زراعية خصبة محدودة المساحة حتمت على سكان المنطقة اعتماد كافة السبل للمحافظة على الأراضي الزراعية وانعكس ذلك على مساحة البيوت التي اتسمت بصغر مساحته ، وعلى اختيار مواضعها .

لأجل ذلك حاول المعمار أن يحقق امثل استغلال للمساحات المشيدة وتم ذلك في التوسع العمودي فظهرت غالبية البيوت بطابقين أو أكثر . كما تم استغلال مساحات واسعة من الطرقات والأزقة وتم تسقيفها ليبنى عليها غرف تضاف إلى البيوت المجاورة يضاف إلى ذلك خلق المساحات السكنية في مناطق غير ملائمة للزراعة في الموضع . كما أن اتصال البيوت مع بعضها قلل من الحاجة إلى المواد المستخدمة في البناء ومن المعروف أن جدران البيوت كانت سميكة في الطابق الأول لذلك حاول المعمار أن يقلل من سمكها وخاصة في الطابق الثاني من خلال التجاويف والطاقات غير النافذة .

واحتوت غالبية البيوت على حديقة صغيرة وسط الساحة المكشوفة زرع فيها بعض الأشجار المثمرة كالنخيل وبعض الفواكه الأخرى مما يعكس قيمتها الاقتصادية فضلا عن قيمتها الجمالية والمناخية .

الخاتمة

هكذا يظهر البيت العربي في منطقة الدراسة بنماذجه الخمسة المتتابعة وهو يعكس التطور الحضاري لسكان المنطقة ضمن إطارها العربي العام .

وفي مسار التطور هذا يتبين أن شدة الالتصاق بالبيئة المحلية واستيعاب متغيراتها البيئية والاجتماعية كانت أكثر تحققا في النماذج الأقدم حيث جاءت من خلال تراكم الخبرة والتجربة على مستوى العمارة والتخطيط .

إن الابتعاد عن استيعاب المتغيرات المحلية والانغمار ضمن موجة العمارة العالمية التي في جوهرها تكون غريبة جاء مواكبا لنموذج البيت الغربي الذي أسهم في ضياع بعض معالم الخصوصية لهذا الإقليم الحضاري في وقت تم فيه التوسع على حساب الأراضي الزراعية ما لم يسمح له بالحدوث في مراحله السابقة .

يأمل البحث أن يزداد الاهتمام في عملية تأصيل العمارة من خلال استلهام عناصر أصالتها التي قدمتها النماذج الأولى للبيوت في منطقة الدراسة سواء على مستوى مواد البناء أم التصميم أم النسج الحضري ككل إن ذلك يدفع إلى التأكيد وباستمرار على جعل الحفاظ على النسيج الموروث هدفا سوقيا (استراتيجيا) في مجال التنمية الحضرية في محافظة الانبار والعراق والوطن العربي

المصادر

١- د. خالص حسني الاشعب ، المدينة العربية . معهد البحوث والدراسات مؤسسة الخليج للطباعة والنشر . الكويت ١٩٨٢ صـــ٢٥ــ٤٢ــ

٢- كمال منصف عيادة ، مجلة سومر عدد ١٩٦٩ صـــ١٣١ـ

٣- عبدا لرزاق عباس حسين ، مدن العراق وتطورها ، معهدا لبحوث والدراسات العربية المطبعة الفنية ، ١٩٧٧ ، ص ١

٤-عبد العزيز العاني ، المدينة المغرقة . دار الحرية للطباعة . بغداد ١٩٨٥ صـــ٦٨ ــ

٥- علي قهرمان حسن ، الكفاءة المناخية لمباني عنه القديمة / دورة المعالجات البيئية لتصميم المباني عند العرب ١٩٨٨ . مركز إحياء التراث العلمي العربي . جامعة بغداد صـــــ٢ـــــ

٦- كهلان خلف متعب ، البيت العربي في العصر البابلي القديم . رسالة ماجستير غير منشور كلية الآداب . جامعة بغداد صـــــ ١٩٨٩

٧- عبد الناصر صبري شاهر مدينة راوة وتطورها وعلاقتها الإقليمية . رسالة ماجستير غير منشورة في قسم الجغرافية . كلية الآداب . جامعة بغداد ١٩٨٩

٨- د طارق عبدا لوهاب مظلوم ، نماذج من النوافذ والفتحات البنائية في العمارة العربية ، جامعة بغداد ،مركز إحياء التراث العلمي العربي ، دورة المعالجات البيئية لتصميم المباني عند العرب للمدة ١/٣- إلى ١/٤ ١٩٨٨

٩- د. وليد الجادر العمارة حتى عصر فجر السلالات . حضارة العراق . الجزء الثالث دار الحرية للطباعة . بغداد ١٦٨٥ صـــ٧٢ـــ .

١٠- فريال مصطفى البيت العربي في العراق في العصر الإسلامي . دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٢ صـــــ١١١ــــــ

١١- علي قهرمان حسن الكفاءة المناخية لمباني عنه القديمة مصدر سابق صـــ٣ــ

١٢- د. حيدر كمونة الخصوصية التراثية لتصميم المسكن العربي مجلة التراث والحضارة بغداد العدد ٧٢٦ . ١٩٨٢ ـ ١٩٨٥ صـــ١٢٤ــ

١٣- سليمة عبد الرسول التراث المعماري في عنه وراوة دائرة الآثار والتراث شركة عشتار للطباعة والنشر والتوزيع المحدودة . بغداد ١٩٨٨ صـــ٤٩ــ